وعْي الاخْتِلاف في الرَّواية العُمَانيّة

" قراءة في مَضْمون التّنوّع "

"Awareness of difference in the Omani novel: A reading in the variety of content "

https://aif-doi.org/AJHSS/107304

الباحث / محمود حمد[1]

د. علي بن حمد الفارسي[2]

د. يوسف المعمري[3]

(1) أستاذ متعاون/ قسم اللغة العربية

جامعة الشرقية

(2) أستاذ مشارك/ رئيس قسم اللغة العربية

جامعة الشرقية - سلطنة عمان

Ali.alfarsi@asu.edu.om

(3)أستاذ مساعد/قسم اللغة العربية

جامعة الشرقيةYousef.almamri@asu.edu.om

ملخّص

الاختلاف من أهم دعائم التّنوع في بناء المجتمعات بالجوانب الثقافيّة والفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة، ولدور الفن في الوعي ـ باعتباره من أهم دعائم التطور الحضاريّ ـ كان الاختلاف موجّها إلى الإبداع وتطور لغة الخطاب الروائيّ وأدواته؛ لدورها في تصوير الحدث والواقع واستعادتهما في تشكيل الذات ضمن عمليّات التشكيل بين المتخيّل والملموس، وتحدي الواقع في ظل المتغيّرات أو كل ما يحول بين الصيرورة الطبيعيّة والحلم؛ هو محفّز أوّلي في كتابة الاختلاف، ومن هنا تطوّرت الرواية من تصوير الواقع إلى تطوير الشخصيّة لتكون العنصر الأكثر فاعليّة وأهميّة فيها.

كغيره في الأدب العربيّ استطاعت الرواية العمانيّة اختراق عالم الحداثة بتطوير لغتها وأدواتها؛ فتمكّنت من إعادة الحدث واستعادة الذوات بوعي الاختلاف والتجاوز، واتخذ الروائيّ أمام التّطورات موقفا يعبّر عن مستوى وعيه الفكريّ والاجتماعيّ والسّياسيّ، ويخرج تجربته من القيود المختلفة؛ منتصرا للذات في موقفها من التابوهات، مسهما في رؤية مختلفة إلى القضايا العالقة في التجربة والوعي الإنسانيين، فاتضح موقف الرواية من كثير من القضايا الاجتماعيّة والفكريّة والدينيّة والتاريخيّة في المجتمع العماني، وقد انفتحت التجربة الروائيّة

ISSN : 2410-1818

العمانيّة على العالميّة؛ فقدمت تجارب وعي اختلافها في الأدبين العربيّ والعالمي.

كيف استطاعت الرواية العمانيّة استعادة الحدث الاجتماعيّ والتاريخيّ وإعادته في ظل تشكيل أهميّة الشخصيّة الروائيّة، وما أهم الجوانب والقضايا الاجتماعيّة والتاريخيّة والفكريّة التي عالجتها، وكيف استطاعت الوصول إلى القارئين العربيّ والعالميّ ؟.

ساهمت دراسات حديثة سابقة في تتبّع تطور الروائية العمانيّة فنّيا وموضوعيًا؛ وعلى رأس هذه الدراسات الخطاب السّردي العمانيّ لعزيزة الطائيّ، ودراسة في السّرد الروائي العماني الحديث ليوسف حطّيني، ودراسة في السّرد العماني المعاصر لإحسان صادق اللواتي، ودراسات أخرى متوزّعة بين اشتغالات على تجارب روائيّن عمانيين، ومجموع دراسات بحثيّة وندوات حول الرواية العمانيّة وقضاياها وكتّابها.

خرج البحث بنتائج؛ أهمّها: اهتمام الروائي العماني بتجربته للخروج إلى العالميّة، وتطور الرواية العمانيّة لغة وأدوات فنّيّة؛ استطاعت بها تأكيد وعي الاختلاف والتجاوز لمعالجة كثير من القضايا الاجتماعيّة والفكريّة والتاريخيّة.

الكلمات المفاتيح: الوعي، الاختلاف، التّجاوز، السّرد، الرواية، الاستعادة، التطوّرات، الفنيّة، التاريخ.

Abstract

"Awareness of difference in the Omani novel:A reading in the variety of content "

Difference is a cornerstone in the building of the societies; differences in culture, ideas ,social,political and mainly artistic for it plays a considerable role in the development of the civilisation.

Difference paves the way to innovation And the development of the narration discourse and its tools, which shows the the event and the

reality in the framework of the imaginary and the real and the challenge of the reality.

This is what makes me write about difference. In this context, the novel develops from depicting the reality to development of the character ,which becomes the efficient element.

Like the Arabic literature, the Omani novel has shown developments in style and language and goes beyond the awareness of difference.

The novelist stands against the social and the political limitations and stands against all the taboos ,which try to stop him from innovation and having another point of view.The novel ,therefore is his framework to express his political, social and cultural views,a in the Omani society.

In fact ,the Omani novel opens its doors not only to its domestic areas ,but to its international trend, participating in the Arabic and international literature.

The question to be asked is how the Omani novel succeeds in developing its social, cultural and political issues. Another question to be asked is what are the social, cultural, historical and intellectual issues that the novel has dealt with and how it has reached the Arabic and international audiences.

Some old modern surveys have participated in the development of the, Omani novel as far as the artistic and the thematic sides.We can mention as an example the Omani narrative discourse by Azzeza Thayi and another example

ISSN : 2410-1818

"A study in the modern Omani narration " by Ehsan Sadak Lawati and other different studies and some seminars about the Omani novel.

This study has come to the conclusion that the Omani novelist wants to reach international reputation and this study has also come to the conclusion that the Omani novel has developed linguistically and artistically. The Omani novelist has emphasised the spirit of,d difference and it has the capacity to deal with social ,intellectual and historical issues

Key words:
Awareness ,difference, overtake ,narration, novel ,flashback ,developments, artistic ,history

*هذا البحث حاصل على تمويل من وزارة التعليم العالي والبحث العملي والابتكار بسلطنة عمان في إطار برنامج دعم البحوث المؤسسي المبني على الكفاءة والمشار إليه بالعقد رقم MoHERI/BFP/ASU/01/2021.

المقدّمة

اتخذت الرواية مسالك متباينة في تعيين موضوعاتها وأدواتها الفنية وموقفها من التحديات أمام التطورات الفكرية والاجتماعية والتاريخية والسياسية ، وساهمت في تشكيل الوعي بمختلف

أنواعه بما تمتلكه من مساحة في تشكيلات الخطاب وقابليّتها لتبنّي الأفكار والاتجاهات، وكذلك التطور الفنّي واللغوي، والقدرة على بناء عوالم موازية للعالم الواقعي بفاعل الإبداع التصويريّ والطاقة التخيليّة.

لم تكن الرواية العمانيّة في المكان الذي هي عليه الآن؛ لو لم يصر الروائيّ على الخروج إلى فضاء رحب، يجد فيه العالم الذي صنعه في مخيّلته وهو أمام تطوّرات مختلفة في مجتمعه؛ سواء كان داخل الوطن أم خارجه، فالتّحدي كان كبيرا والحلم كان بعيدا في ظل الوضع الذي وجد فيه الروائيّ العماني قبل الألفيّة بأكثر من عشرين عاما، فكان عليه أن يستشرف الحلم والتطور الفني في العمل الروائي كما تتطلب ثقافته ومرجعيّته واطلاعه على الفن الروائي العربي والعالمي، وقد اشتغل على صياغة فكره واتّجاهه دون أن يتجاهل التطورات المختلفة التي دفعت المجتمع العماني إلى مستويات أخرى؛ شملت الفكر والعادات والتقاليد، وأخذت من تنوع النسيج العماني، ومظاهر الطبقيّة الاجتماعيّة ـ القاسية في هيمنتها ـ مادة أدبيّة وموضوعيّة، وكذلك تنوع ثقافتهم ومستواها، وتنوّع اتّجاهاتهم وأوضاعهم الاجتماعيّة والقبليّة، " فالرواية تُعَد نقطة حاسمة في مسار الثقافة والفكر العمانيّ؛ فقد رأينا أنّ الحاضر بناسه خيرهم وشرّهم، كبيرهم وصغيرهم، شيخهم وخادمهم، بيئاتهم

ISSN : 2410-1818

وخلفيّاتهم، بلغاتهم ولهجاتهم، يشكّل المادة الأساسيّة لها "(1)، وجعل الروائيّ عالمه موازيا لهذا الواقع المعاش، أو قرأها بشكل آخر، كما دفعته ثقافته ومرجعيّته.

والاختلاف الذي نقرأ وعيه هنا، هو تجاوز الثابت والمألوف للوصول إلى إضافة أو معنى جديد للمعنى الأدبيّ موضوعا وأفكارا، وهذا الاختلاف هو المادة الحقيقيّة للأدب؛ وإلا صار جسدا لغويّا لا يمتّ إلى الفن بصلة. والوعي يسهم في البحث عن مسارات أخرى للعبور إلى المأمول، وعلى الرغم من كل الصعوبات؛ ابتكرتْ الرواية العمانيّة بوعي اختلاف مبدعيها أدواتها وموضوعاتها من كل هذا المكرر فجعلته مختلفا ومتنوّعا، وفي هذه العجالة سنقوم بتتبع بعض مظاهر هذا الوعي في الرواية العمانيّة؛ مستأنسين بما قدمه الباحثون والنقاد من إضاءات في النماذج العمانيّة، وقد اخترنا ما رأينه مناسبا لهذا التتبّع الذي نأمل أنْ يشكل إضافة توجيهية لاهتمام أكثر عمقا؛ يكشف أشكال وموضوعات هذا الوعي.

سنقرأ نماذج تاريخيّة واجتماعيّة وفلسفيّة، نرصد من خلالها وعي الاختلاف؛ لنبرز أشكاله وأدواته، وكيف استطاع الروائيّ العماني الخروج بأفكاره وأيديولوجيّته في تجارب إنسانيّة تجاوزت القطر إلى الأدب العربيّ والعالميّ.

ما الذي يمكن أنْ يسهم في صناعة الفن أكثر من الاختلاف. إن ولادة كل أشكال الفن من رحِمِه، إذ كان الرهان الأول على تشكيل كل التجارب في التاريخ البشريّ. ونقصد بالاختلاف في هذا السّياق الخروج من السائد اليوميّ في أنماط الخطاب والتعامل بين الأطراف في المجتمع الواحد.

في الجانب الذي يعني الفن "ما به المُعطى يعطي بما هو متنوّع؛ إنما [نومين] الظاهرة"(2)، أي رؤيتها من الجانب الفلسفيّ؛ المرتبط بتشكيل الفنّ باعتباره المعبّر عن تحولات البشريّة، وتبقى الفلسفة ـ كما يقول الباحث علي سليمان ـ الحقل البشريّ الأكثر قدرة على اكتناه الأفراد ومجتمعاتهم من كلّ النواحي والأصْعدة، فتتقدّم العلم لأنّ أدواته على الرغم من أهمّيتها محدودة التعامل مع الطبيعة البشريّة(3)، ومن هنا نعيّن الاستجابة الإبداعيّة التي ترتبط باستعدادات الاختلاف، وإذا كان الإنسان

[1] . الرواية العمانيّة في ميزان النقد الثقافي، خالد البلوشي، مسعى للنشر والتوزيع، كندا، أوتاوا، الطبعة الأولى، 2018، ص174.

[2] . الاختلاف والتكرار، جيل دولوز، ترجمة: وفاء شعبان، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص31.

[3] . " الاتجاهات الفلسفيّة الحديثة من المناهج إلى الذكاء الصناعي "، علي بن سليمان الرواحي، ملحق جريدة عمان الثقافي، العدد13، 26 يناير، 2023، ص32.

ISSN : 2410-1818

يخبئ في مكنونات نفسه هذه التّصورات؛ فيصعب على الفنان وأدها في نفسه؛ لأنها لا تمثّل ذاته فقط لكنها جزء من المثل البشريّة التي يدور حولها الصراع بين الذوات وموضوعات الوجود بكل أشكاله.

يمكننا أنْ نتخيّل الصراع حول تأكيد الصّفات التي يتشبّث بها البشر أمام الانهيارات الأخلاقيّة والفطريّة، وكلّ ما نراه اليوم من فشل ذريع في تأكيد أي قيمة أخلاقيّة؛ هو انهزام أمام سطوة الحالة الماديّة القاسية على طبيعة البشر في صراعهم مع مسبّبات الانهيار القيميّ. إن الرؤية الفنيّة تولد من هذا الصراع مهما كانت مستوياته منذ القديم؛ إذ تسهم حساسية الفنان في إعادة التّوترات بإبداعه، ويطرح عزالدين إسماعيل في ضوء الكثير من الدراسات النفسيّة تساؤلات حول الدافع من الإبداع لدى الفنان، ويشير إلى أن الأديب على سبيل المثال يستمتع بعمليّة الإبداع، كما أنه يتخلّص بذلك من وطأة الظروف على نفسه، ويشير كذلك إلى فكرة الإرادة لديه؛ والتي نجدها في المقدرة الإبداعيّة؛ إذ لا يقنع النمط المبدع من الناس بخلقٍ فرْد بل يخلق في خياله الخاص عالما كاملا يحقّقه بفنّه(4)، بل يضمّنه عوالم بتجاوز عناصر القصّة إلى شحنها بالكثير من العمق النافذ في معرفة متغيرات المحيط باختلاف مواقفه وتطلّعات الذوات فيه إلى المختلف الذي يتطوّر بثقافة الفرد والمجتمع في ظل صراع الإنسان مع الصيرورة.

ما يعيده الفنان في الأدب هو التّحدي الذي يقبله أمام المتغيّرات وموقف الآخرين منها ومن فنّه، وهو الاعتماد على مقدرة التّصور المجازي الفنّي التي تميّزه عنهم، وحين نتحدّث عن الوعي في هذا الجانب فهو امتلاك الجرأة على تشكيل المختلف من أدوات المكرر والمستهلك؛ ليس باعتباره منتهيا، بل لكونه يمر على غير الفنّان فترة أو حادثا أو ردة فعل تجاه المواقف اليوميّة، " والشكل التّصوري المجازي للوعي ـ كما يراه غاتشف ـ أقدم من الشكل المنطقي"(5)، فكان الأدب حامل هذا النتاج تعبيرا عن الذوات الواعية معرفيّا؛ بوصفه أكثر شموليّة وقدرة على الاعتراف برغبتها في الخروج إلى الحقيقة بالوعي الجماليّ، وما يميّز هذا الأخير طبيعته الشعوريّة والعاطفيّة، وإدراك موضوعه بصورة عاطفيّة هي أهم صفاته، ومن خلال الذوق الجماليّ، وقدرة البشر على تمييز الجميل من القبيح والسّامي من السّوقيّ، والمأساوي من الملهاوي؛ يمكن الوصول إلى هويّة العلاقات الجماليّة والوعي الجمالي "(6)، ولهذا ارتبطت الفنون بهذا الوعي إضافة إلى أدوات الإبداع المعبّرة عن كثير من أشكال الاختلاف،

---

[4] . التفسير النفسي للأدب، عزالدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1984، ص (38.34).

[5] . الوعي والفن، غيورغي غاتشف، ترجمة: نوفل نيّوف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير 1990، ص13.

[6] . الوعي الاجتماعيّ، ا. ك أوليدوف، ترجمة: ميشيل كيلو، دار ابن خلدون، لبنان، لا طبعة، لا تاريخ، ص99.

ISSN : 2410-1818

وبالإشارة إلى هذا الأخير نستطيع كذلك أنْ نعيّن أكثر من مستوى له؛ بمعنى آخر تتطوّر الفنون بتطور الفكر والمحيط الإنسانيين.

الأدب من الفنون التي توظّف اللغة في مفارقاتها وطرائق التعبير بها، وعلى الرغم من صعوبة التعيين الدقيق للعلاقة بين الفكر والأدب؛ لكنّ القضيّة تدور حول المستويات والأشكال، ولا تنفي العلاقة، كما تتعلّق باختلاف أشكال الأدب من حيث أدواتها وطبيعتها الفكريّة، " وكثيرا ما أخذ الأدب على أنه شكل من الفلسفة، "أفكار" ملتفّة في صورة، ويحلل لاستيضاح "أفكار رئيسة" "(7)كما يرى وليك وآرن، وهو الجانب المشترك الذي يعنى باختلاف النظر إلى المشاهد والملموس أو ما وراءهما، وحتى لا نفتح بابا لطرح ما لا يعنينا هنا؛ نكتفي بطبيعة الأدب باعتباره شكلا فكريّا يلتقي والفلسفة كثيرا ولكل منهما مساحته وتوسّعه، كما لكل شكل أدبيّ كذلك سماته في توظيف اللغة وتشكيل الأفكار أو التعبير الفلسفي؛ لكنه لا يولد في فراغ يفصله عن المحيط البشري الذي تنتج فيه وتتطوّر.

من هنا " يرتبط الوعي الجمالي بالنشاط وبالروابط الجماليين للإنسان مع الواقع ويعبّر نشاط الإنسان الجمالي عن نفسه في عمل الإنسان وطريقة حياته وفنّه، ويكمن جوهره في تغيير وإعادة إنتاج الموضوعات وظواهر الواقع حسب قوانين الجمال ونحن نفهم الجمال بوصفه تماميّة موضوعات وظواهر الواقع "(8)، ومن طبيعة الأدب في هذا الانعكاس كانت الرواية نفَس القصّة الطويل في اختيار الزاوية الفنيّة لتشكيل تجربة الحدث باعتباره عنصرا متكررا يعيد الروائيّ أشكال تحقّقه في مساحة العلاقات بين الواقع والخيال، أو كما يراها ستالوني (وهم الواقعيّة)؛ في أن منية الرواية ولا سيّما منذ القرن الثامن عشر تصوير العالم الواقعيّ وحوادث يقبلها العقل، بغضّ النظر عن موضوعها وصدقها، كما طوّرت الشّخصيّة في القرن العشرين؛ لتتفرّد وتتركّز فيها الأهميّة الروائيّة بعد أنْ كانت مجرّد نمط متواضَع عليه(9)، فتحت الرواية آفاقا واسعة لعناصر القصّ؛ لكنها تمارس تحدي تشكيل كل عنصر بمستويات معرفيّة ذات وعي فنّي ثقافي، إذ ما يتمّ به تقديم الشّخصية باعتبارها حاملة الأهميّة

[7] ـ نظرية الأدب، رنيه وليك وآوستن وآرن، ترجمة: عادل سلامة، دار المرّيخ، السعوديّة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1412هـ/1992م، ص153.

[8] . الوعي الاجتماعيّ، ص95.

[9] . الأجناس الأدبيّة، إيف ســـتالوني، ترجمة: محمّد الزكرواي، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص123.

ISSN : 2410-1818

الروائيّة داخل البناء الفني يضع عمل الفنّان على المحكّ في القدرة على إعادة الصراع بشكل مختلف، يعبّر عن الوعي.

يشير محمّد زَرُّوق في مقدّمة معالجته عن (السرد العماني واستفاقة الوعي الراكد) إلى الاختلاف الذي أهّل كتابين عربيين إلى العالميّة؛ هما ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة. الأول كان مصدرا لكثير من الفنون الكونيّة، إذ كانت أول ترجمة له عام 1704 إلى الفرنسيّة لأنطوان غالان، كما انتشر كليلة ودمنة في الغرب لاختلافه بالتعبير عن حياة الإنسان وصراعاته ومختلف أفكاره باستعمال الحيوان(10)، وكليلة ودمنة " كانت سببا في ظهور جنس أدبي جديد في الأدب العربيّ "(11)، وكان ألف ليلة وليلة " ثمرة الإبداع الفريد المتميّز للمجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط "(12)؛ فكان نتاج رؤية بعيدة تجرّدت من السائد بالاختلاف في تشكيل تجربتين عالميتين بأبعاد إنسانيّة قيّمة وجدت فيها الثقافة العالميّة صوت الجنوح إلى كسر المحيط الصلب، وإشارة زرّوق إليهما في معرض معالجته عن استفاقة السرد العمانيّ تربط رغبة الفنّان بوعي عالميّ سبق التجربة الروائيّة العمانيّة بزمن طويل؛ تأثرت به ليكون دافعا عالميّا إلى تجاوز الضّيق والمكرر.

استطاعت الرواية العربيّة تقبّل الأبنية والأنساق الجماليّة واخترقت عالم الحداثة بتطوير لغتها وأدواتها الفنيّة والسّرديّة، وبتعقيد حبكتها برزتْ لغة جديدة في مخاتلات داخليّة تتقاطع مع الحياة في العصر الراهن؛ باستعادة الميثولوجيا(13)؛ لما تخبّئه من صدق إنساني كان دائما ـ عبر التاريخ البشريّ ـ في حاجة إلى استعادة وإعادة إنتاجه بصورة مختلفة باعتباره جزءا من الاستمرار الإنساني، وفي صدام الذات مع المادّة ذات الاتجاهات الحادة وجد الإنسان رغبته في قدرة الفن على فهم المعنى الحقيقيّ، والرواية هي المعبّر عن تشكيل الواقع في المنطقة الوسطى بين الواقع والخيال، نجدها تستعيد تلك المواقف والاصطدامات بفاعليّة جديدة، بل هي تعمل على شحن عناصر القصّ في لغتها الجديدة فتحقّق بخطابها العميق في توظيف الفهم المختلف صورا ومشاهد أخرى للمعنى، والجزء الأكثر أهميّة في طرائق استيعاب المعنى الذي يتكوّن في المساحة بين الكاتب والمتلقي هو إعادة صياغة الخطاب فنيّا بالشكل أو النوع الأدبيّ، وإلا فالخطاب بالمعنى المتبادل نظام لفظي قد يستعين ببعض الأساليب ليبدو

---

[10] . " السّرد العماني واستفاقة الوعي الراكد "، محمّد زرّوق، مجلة نزوى، مؤسّسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسْقط، العدد 100، أكتوبر، 2019، ص102.

[11] . الرواية العربيّة الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة (جذور السرد العربي)، بلحيا طاهر، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران / دار الروافد الثقافيّة ـ ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2017، ص73.

[12] . المصدر السابق، ص74.

[13] . الرواية العربيّة الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، ص107.

ISSN : 2410-1818

مختلفا، فالمعنى هو المتولّد بأكثر من وجه للتعبيرات الفنيّة، بمعنى أكثر دقة كما يرى ريكور؛ في جدل الواقعة والمعنى " الخطاب، إذا، من حيث هو واقعة أو قضيّة أو خبر، أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هويّة هو شيء مجرَّد، يعتمد على كلّ عينيّ ملموس، هو الوحدة الجدليّة بين الواقعة والمعنى في الجملة "(14)، فلا يخلق فاعليّته إلا الاختلاف العام في الأدب؛ ومن ثمَّ يأتي الوعي بجعل الخطاب الروائي فنّا يعيد العينيّ الملموس بتشكيل عناصر تضيف إلى العمل قدرة على الإغواء.

أمام التّطورات التي تستدعي من الذات اتّخاذ موقف يعبّر عن مستوى وعيها؛ كانت الرواية العالم الذي يعكس الكثير من تطوّر ثيمات مجتمعيّة وفكريّة التي تنجزها السيكولوجويّة الاجتماعيّة في الوعي الاجتماعيّ؛ حيث تجتمع المشاعر والأمزجة والعواطف والمهارات والاتجاهات الإراديّة والعادات تكوينات فكريّة(15)، تعتبر المادة الأولى لصناعة موقف وعي الكاتب المتحقق في مستوى روايته، وفي هذا التّنوع تجد نظريّة التّلقي طريقها إلى اكتساب نواح جديدة لتحقيق العصريّة ضمن متغيّرات الظروف والتكوينات، " فتاريخ الأدب والفنون الجميلة هو في الآن ذاته تاريخ تبعيّة وتمرّد غريزيّ للتجربة الجماليّة: هنا يستطيع الإنسان بفضل نشاطيْ الإبداع والتلقي، أنْ يجعل كافّة وظائف العمل الإنسانيّ الأخرى شفّافة وأنْ يرفعها إلى مسْتوى التواصل الذي يسمح بالكشف عن تمرّسه بالعالم رغم المسافات الزمانيّة والمكانيّة والثقافيّة "(16)، وقد حققت الرواية العمانيّة هذا المستوى باكتسابها ذاتها من خلال إعادة التجربة الإنسانيّة الاجتماعيّة بوعي ثقافي فنّي تجاوز المسافات المختلفة؛ لتصل إلى الآخر بصورة إنسانيّة مؤسسة على الاختلاف الذي وظّف المؤشّرات والوقائع التاريخيّة والسياسيّة والمجتمعيّة، بإدراك الكاتب العمانيّ أهميّة الرؤية المختلفة للكثير من القضايا الإنسانيّة التي بقيت تحت ركام النسيان والتجاهل وتكرار الاشتغال السّرديّ، وكما يرى ياوس في نظريّة التلقي بأن وظائف العمل الإنساني تحقّق تواصلا إنسانيّا حين يطوّر الكاتب أدواته الفنيّة للخروج من ضيّق مادته إلى مستوى رؤية مختلفة، مما يستدعي وعيا حرّا لا يترك تجربته رهن القيود الثقافيّة والاجتماعيّة، منطلقا من الذات باعتبارها الكليّ الدقيق والجزئيّ العميق، وهو الجزء الأكثر تأثيرا في بناء الوعي الفلسفيّ؛ والذي يرتبط بروابط اجتماعيّة، لكن ارتباطه ذو طبيعة توسطية لا يقيم المرءُ فيها علاقة مباشرة بين الفلسفة وعلاقات

---

[14] . نظرية التّأويل (الخطاب وفائض المعنى)، بول ريكور، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضـاء، الطبعة الثانية، 2006، ص37.

[15] . الوعي الاجتماعيّ، ص135.

[16] . جماليّة التلقي (من أجل تأويل جديد للنص الأدبي)، هانس روبيرت ياوس، ترجمة: رشـيد بنحدو، كلمة للنشـر والتوزيع، تونس، أريانة / منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر / منشورات ضفاف، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م، ص123.

ISSN : 2410-1818

أخرى؛ وإنْ كان التحليل السوسيولوجي للوعي الفلسفيّ يظهر أهميّة ارتباطه بالعلاقات الاجتماعية(17)، لأنه الجانب المخفيّ في اختلاف مواقف الناس من الحياة، واختلاف مواقفهم ودرجات وعيهم بتحوّلات الحياة التي تتصل بجوانبها المختلفة. وحين كان الناس يتجاوزن المتغيّرات دون إدراك أثرها على الذات؛ كان الروائيّ كغيره من الفنّانين يرمّمونها بإعادة التجارب فنّا إنسانيّا في الواقع الذي يثقل كاهلها بكثير من الأزمات العاطفيّة والملموسة، في صراع بين الماديّ والروحيّ، " وبواسطة هذا الفن الروائيّ بدأنا نتعرّف على ذلك الرابط الذي جمعنا بوشائج واقعنا المعيش، ثم لأنه بدأ كذلك يقارب الهوة بيننا وبين همومنا الحياتيّة اليوميّة "(18)، حيث يستطيع وعي اختلافها على إعادة تشكيل التجارب في الذات الحاضرة، وتكون التجارب مادة قيّمة في تحويل القضايا المكررة بمحليّة المشهد إلى فضاء العالميّة، وقد يجد الروائيّ الكثير من مثقلات التجربة، وقد يقلق من غياب قضيّته في هوّة غربتها الفنيّة؛ فينقذه وعي اختلافه بتوظيف أدوات انفتاح الفنون على بعضها.

نعم الاختلاف بمعنى أقرب إلى فلسفة الإنتاج الفنّي الخارج على التكرار بوعي الكاتب بموضوعات المحيط والقدرة على خلق التباين، حتى نفهم الاختلاف بسهولة في حقل الكتابة الروائيّة. " فهو العلاقة ما بين أشياء غير متطابقة فيما بينها. إنه علاقة الغيريّة التي تميّز كائنا عن آخر "(19)، حيث يتعلق الأمر بوعي الفنّان المتقدّم بالتغيير والرغبة في استيعاب ضرورة الاستعادة أو الإعادة بالاختلاف والمختلف؛ في الجوانب الاجتماعيّة والفكريّة والسياسيّة والدينيّة، ولم يكن الروائي العماني في العصر الحديث بعيدا عن المتغيّرات المختلفة وهو في حضرة انفتاحه على التجارب الإنسانيّة في الفن العالميّ، كما حقق مكانته في هذا الاختلاف ضمن ركب الفن الرّوائيّ، وقد تجاوز أشكالا أدبيّة في عطائه العالميّ، ورواية سيّدات القمر التي أثارتْ الاهتمام حول تجذّرها في الترجمات الروائيّة مثال واحد أثبت على التغيّر الذي ساهم به السّرد الفنّي في شد الانتباه إلى القارئ والناقد العالميين؛ واللذان وجدا فيه الرواية مناخا إبداعيّا يحمل عوالم ثقافيّة اجتماعيّة فكريّة قادرة على إعادة التجربة البشريّة بخصوصيّة المجتمع أو بدونها.

رواية (سيّدات القمر) لجوخة الحارثيّ مثّلت اختلاف التشكيل الذي عرّف الآخر بالثقافة العمانيّة، وقد حقّقتْ منزلة لم يحقّقها الشعر الذي يمتدّ تاريخه إلى ما قبل الإسلام، كما لم تحقّق مظاهر نثريّة أخرى هذه المنزلة ـ كما يشير محمّد زرّوق ـ وهذا الاختلاف تولّد من صنع دراما محلّية

---

17 . الوعي الاجتماعيّ، ص101.

18 . الرواية العربيّة الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، ص17.

19 . الاختلاف، محمّد الهلاليّ وحسَن بيقي، دار تبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2016، ص6.

ISSN : 2410-1818

تدور في قرية عمانيّة يستطيع القارئ أنْ يكون فيها(20)، وهذه الدّراما ـ في رأيي ـ هي سبب كبير إضافة إلى الأدوات الفنّية التي أهّلت الرواية إلى المستوى الذي رأت فيه اللجان المختلفة في التنافس والاهتمام بالترجمة استحققها لهذا الوصول؛ ولست هنا لمناقشة ذلك لقصر أدواتي الفنيّة؛ لكني أرى أن الرواية العمانيّة قدّمت قبل ذلك نماذج بجوانب عمانيّة أخرى لم يكن لها نصيب من الانتباه والاهتمام، وقد اهتمت الرواية العمانيّة في أواخر الثّمانينات بالبُنى الفنيّة بتصوير الواقع الاجتماعي وأهم تطوّراته كما هي الحال في روايات سعود المظفّر، إضافة إلى الاهتمام بالجانب التربويّ والإصلاحيّ الذي جاءت فيه روايات مبارك العامريّ وأحمد الزبيديّ أكثر نضجا في البناء الفني، وأكثر حيويّة في موضوعات أزمات الإنسان العمانيّ اجتماعيّا وسياسيّا(21)، في فترة التّحوّلات الحضاريّة المتعدّدة التي غرس بذورها الفكر المدني والوعي الوطني قبل السبعينات، وأخذ هذا النمو يتشعّب في العمل الروائيّ العمانيّ بتعدد أشكال ومستويات وعي كتّابه، ولم تطرح الرواية ـ كما هو في الأدبين العربيين والعالميين ـ موضوعات هذا الإبداع في فترة واحدة بنفس المستوى.

إننا أمام شكل واسع متعدد الجهات والأدوات للوعي؛ فما قدّمته الرواية العمانية كان مادة الصمت في صراع التعبير عن المتغيّرات التي تراكم عليها حطام التّجاهل، وقد ساهمت الرواية العربيّة في تشكيل الوعي الحقيقيّ؛ إذ حضر المجتمع المعاصر مكثّفا فيها، وعبّرتْ عنه مباشرة قريبة من طبقاته، كما استجابت في وقت مبكر للظرف الاجتماعي والسياسي برسم المشهد بوضوح وشفافية(22)، وعلى الرغم من تأخر ظهور التجربة مقارنة بازدهارها في بقية الأقطار العربيّة؛ لكنها عكست رؤية المثقف العمانيّ في مجتمع شهد مقاومة كبيرة في محاولة رؤية ما هو خارج القوالب، وقد اثبت وعي الرواية العمانيّة إصرارها على استشراف المستقبل الفني والقدرة على استعادة الذوات وإعادة التجربة لتكون مادة متجددة في فترات متتابعة شحنها الوعي بطاقات عميقة؛ تنجز اليوم قضايا إنسانيّة واجتماعيّة وفكريّة عالميّة. عندما نتحدّث عن الوعي هنا فهو التحدي الذي يسهم في التعبير عن الذوات التي تتوق إلى البعيد؛ بأنْ تبني عالمها الذي حلمت به ورأته خارج محيطها. استعادة تواجه بالكثير من الرفض ـ كما هي طبيعة الحديث ـ خوفا على الموروث والشكل المتاح، ولأنّ الرؤية التي ولدت من الحلم والصدق مع الذات والنظر إلى البعيد ثمرة وعي مهاجر؛ فقد كان العمل به شاقا. نعم إنه وعي مهاجر، ولم يحن له حتى الآن ـ على الرغم من التّطور الفكري والاجتماعيّ ـ أنْ يستقرّ في بيئته التي

---

20 . " السّرد العماني واستفاقة الوعي الراكد "، محمّد زرّوق، ص103.

21 . الخطاب السّردي العمانيّ، عزيزة الطّائي، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2019، ص235.

22 . خطيئة السؤال، أحمد الهلال، مطبعة الحُسيني الحديثة، السعودية، الهفوف، الطبعة الأولى، 1438هـ/2017م، ص38.

ISSN : 2410-1818

يتشكّل فيها؛ لتكون حاضنة لحضوره(23) ، من هنا كان إصرار الأدب الروائي العماني شديدا باعتباره شكلا من أشكال الوعي الذي ينطلق من موقف يتأسس من الشعور بأهميّة التغيير أو تحريك الجامد مهما كان نوعه، ومثال رواية (الطواف حيث الجمر) لبدريّة الشحي يشير إلى هذا الفعل الذي تحتمله الرواية؛ فرواية بدرية الشحي تمرّد على الواقع الذي لم يكن من السهل تجاوز حدوده والتخلص من عبئه، ولهذا ـ كما تشير عزيزة الطائي ـ هي إنجاز في تاريخ الرواية العمانيّة(24)، رواية تقوم على تساؤلات جريئة عن جريمة العنصريّة في تفكير معي يشحن هذا الجانب ويورّثه أبا عن جد ، تساؤلات تعّجب من وعي يرى سقوط الأعمدة الإنسانيّة النبيلة تحت أقدام العنصريّة المقيتة ، كيف لهذا أنْ يكون بعد أن وجد المخلصون لهذه الإنسانيّة في المجتمع العماني؛ ناضلوا لإخماد الأفكار ذات الطبيعيّة العدائيّة ضد مجتمع يسعى إلى وحدته وإنسانيّته. جعلت غالية آل سعيد هذه الرواية قريبا من رواية الكاتب في. س. نايبال (التواءة في النهر) ، حيث تجسّد الصراع الذي تمثّله الفتاة العمانيّة (زهرة) من مدينة نزوى مع فكرة النسب العرقيّ لاختيار حبيبها سالم لشابة زنجباريّة؛ جاء الوصف العنصريّ المعبّر عن ثقافة ـ إنْ صح تسمية المنقول عبر الدين والمجتمع بذلك ـ بأنها (سوداء أنفها أفطس)(25)، ولنا أنْ نتخيّل هذا الموقف الذي يجسّد أثر التربية الأخلاقيّة التي تستثني التعالي على الإنسان من مجمل المتعارف عليه في التّأديب منذ الصّغر، وهي حالة يشتغل الأدب بأدواته على ملاحقتها ليست لأنها مجرّد جريمة أخلاقيّة ضد الآخر؛ لكنها كسْر للقيم التي تترجم صدق الشعور في حساسية الكاتب، والإنسان السّوي يشعر بثقل التعالي على الآخر لاختلاف جسديّ أو اجتماعيّ فيه، ولا يتصالح مع الفوقيّة الممقوتة إلا البعيد عن الذات الطبيعيّة، لهذا يرى البعض أن التعالي صناعيّ وليس طبيعيّ(26)، وفي المجتمع العمانيّ يشكّل التّكور القبليّ بيئة خصبة لتكثيف التعالي الاجتماعيّ، حتى أنه ليتحوّل إلى نوع من الاعتداد والتّباهي، يوجِد لها المجتمع في أعرافه الأخلاقيّة مبررات جاهزة، " مبنية على أساس فيزيقي يتعلّق بالتكوين الجسمانيّ أو أساس حضاريّ أو ثقافة أو سمو وامتياز "(27)، ليصدم كل هذا حساسية الكاتب؛ فتشكّل الصدمة أدوات اختلاف وعيه، بل إننا نجد هذا الصّراع مع مواقف متعددة في الأدب الروائيّ العماني كما يشير خالد البلوشي في استيائه النقديّ بتتبّع سلطة الأدب باعتبار بعض هذه المواقف

---

[23] . المصدر نفسه، ص30.

[24] . الخطاب السّردي العمانيّ، ص236.

[25] . " قراءة في الطواف حول الجمر "، غالية فهر تيمور آل سعيد، مجلة نزوى، العدد 24، أكتوبر 2000، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عُمان، مسقط، ص237.

[26] . التّفرقة العنصريّة، السّيد محمد عاشور، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، القاهرة، 1986، ص7.

[27] . المصدر نفسه، ص4.

ISSN : 2410-1818

إشكالات قيميّة أخلاقيّة؛ يقف الأدب إزاءها متأرجحا بين تعزيز السّائد وتحدّيه في إشارات متتابعة إلى نماذج شكّلت من السّائد والموروث بناءها الثّقافي(28)، وهي بلا شك قضيّة حسّاسة يطفح على سطح المصداقيّة الفنيّة الكثير من ارتباك الموقف والنقد، لكننا أمام هذا نراهن على إصرار الإبداع الروائي على النجاة من كل ما يؤلم البشريّة، وهو تجاوز تفرضه الرواية الحقيقيّة باعتبارها توازن بين الإشكاليّة والموقف.

لا يمكن الوعي بالآخر إلا بالوعي بالذّات، يكتمل الأول بالآخر؛ يؤسس على الحالة الإنسانية المتصالحة، فيؤثّر ذلك على العلاقة ليكون الفعل مؤثّرا في الذات كما هو مؤثر في الآخر(29)، بمعنى آخر إنه قيمة إنسانيّة يرتكز عليها وعي الاختلاف بعد الوعي الاجتماعيّ، لهذا طرحت الرواية العمانية الكثير من نماذج التجاوز في الإطار الاجتماعيّ؛ دلّت على الموقف الغالب من كل أشكال التجاهل والفوقيّة ضمن قيم نبيلة انشغل بها الكاتب عالميّا في إبداعه، " إنّ الضغوط على الذات العربيّة، فرديّة هي أم جماعيّة وعلى السّلوك والحركة أم على النظر والتقييم؛ أدّت إلى رغبات واعية وإلى [إواليات]دفاعيّة لاواعية هدفها المقاومة "(30)، تعددت بها أشكال التعبير عن الرغبة في فضاء يحقق للإنسان في المجتمع العماني ذاته دون الوقوع تحت سلطة وهميّة أو حقيقيّة؛ أثقلت كاهلها وحالت دونها ودون الحياة التي تجد فيها المعاني النبيلة والقيم الإنسانيّة، هذا الوعي هو ثمرة التواصل الحضاري والإنسانيّ.

كان للانفتاح الثقافي في عمان الدور الفاعل في إزاحة الكثير من الأثقال الفكريّة التي شكّلتها ـ كما أشرنا ـ موروثات فكريّة ودينيّة واجتماعيّة، والتي كانت ترتبط بمركزيّة الثقافة، كسرها التواصل الحضاريّ في مرحلة التّأسيس الروائيّ الذي استفاد بطبيعة الحال من المتغيّرات في الجانب التعليميّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، كما ساعد اقتراب الكثير من سكان القرى والصحاري من المدينة في هذا التغيّر، مما أسهم في التواصل بين المجتمع والوعي، وعلى الرغم من اختلاف ظروف عمان؛ لكن التّأثير الحضاري والفكري والاجتماعي كبير في العمل الروائيّ، والذي أعطى ثمره لاحقا في التسعينات من القرن العشرين(31)، كما كانت الصّراعات في مرحلة حسّاسة من حياة العمانيّ، حيث شهدت تحولا وتطوّرا في القيم والأعراف، قدمت له عزيزة الطائي نموذجين في هذه المرحلة؛ رواية (المعلم

---

[28] . الرواية العمانيّة في ميزان النقد الثقافيّ، ص (33 . 44).

[29] . السّرد العجائبيّ في الرواية الخليجيّة، مي السّادة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص109.

[30] . اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربيّة، علي زيْعور، دار الطليعة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص52.

[31] . الخطاب السّردي العمانيّ، ص234.

ISSN : 2410-1818

عبدالرزاق) لسعود المظفّر، ورواية بدرية الشحي التي ذكرناها (الطواف حيث الجمر)؛ قدمتهما ضمن النسق التقليديّ، فالأولى موضوعها الميثولوجيا العمانيّة، والثانية صورت تناقض المرحلة الانتقاليّة في بيئة تجمع بين الواقع المحلي وبيئة خارج الحدود(32) ، وهما جانبان مهمّان في ميدان صراع وعي الاختلاف أو حتّى إظهار المخفيّ الذي يحقق طبيعة المجتمع بإنسانيّته المركبة بين الرغبة عن الفعل أو الرغبة فيه، وكثيرا ما يكره التفكير التقليديّ إبراز القضيّة المتعلقة بأمر يرتبط إسقاطه بأطراف أخرى يراها نبشا فيما ينبغي ـ كما يرى ـ إخفاؤه عن الآخرين؛ حتّى لا يصير مدعاة فضول وكشف، كما يشير يوسف حطّيني في قراءته لرواية الرّولة التي أثارت الكثير من المخبوء، حيث عالجت الرواية مرحلة انتقاليّة في المجتمع العمانيّ؛ شهدت صراعا بين دعاة كسر المألوف للتخلّص من التخلف والجهل وبين من يكرّس سلطة رجل الدين الرافض للمدرسة التي تقود ـ في زعمه ـ إلى الإلحاد، تجري الأحداث في نهاية السّتينات، وهي فترة تأزّم وصراع بين فكر طامح إلى الجديد وآخر متقوقع على نفسها لا يعنيه مسار العالم. وتمثّل القرية النائية غيرها في هذا الصراع(33)، فهذه المرحلة حملت أشكالا مختلفة للتغيير في جوانب ثقافية وفكريّة واجتماعيّة؛ شكلت منظومة مختلفة ساهمت فيها النخبة المثقّفة من العمانيين الذين استجابوا للجديد في هذه الجوانب، كما كان للعمانيين الذين عشوا خارج القطر ودرسوا في مؤسسات تعليمية عربيّة وغيرها، إضافة إلى الذين تأثّروا بالتغيير العام الذي فرضته المدنيّة الحديثة بسبب عائدات النفط والتّطور الصناعي والاقتصادي؛ والذي من شأنه أنْ يفتح الآفاق أمام المخلصين للوعي الفكري والاجتماعي والسياسي.

كل هذا كان مرصودا من قبل الفنّان في عمان؛ والذين كان ضمن قافلة الوعي التي شكلت من أدواتها منطلقات اختلاف للسائد والموروث، فالفنّ صوت التحوّلات وصراعاتها بحساسية الإنسان من محيطه ضمن طبيعته التي شكّلت أهم أدوات الفنون وأشكالها، ومن اللغة التي تحمل ثقافة الإنسان ورموز حضارته، " تشكّلات فكريّة عديدة هي في الجوهر منسوج عمليّة النكوص اللاواعية التي تقصد في اللقمة والفعل السّياسيّ والشعور بالأمن والاحتماء "(34)، والذي هو ـ كما نفهم ـ ردّة فعل للأوضاع السائدة في الحياة والوطن والذات، والصراع مع ضدّ ما يمكن أنْ يسلب الإنسان هذه المؤكدات التي تحققه؛ باعتباره إنسانا يستحق احترامه وكرامته وأمانه، ورواية حمود الشّكيلي (صرخة واحدة لا تكفي) مثال على وعي الاختلاف في رصد حياة كفاح إنسان ينسج جوانب حياته من

---

[32] . المصدر نفسه، ص237.

[33] . في السرد الروائي العماني الحديث، يوسف حطّيني، بيت الغشّام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان، عمان، مسقط، الطبعة الأولى، 2017، ص286.

[34] . اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربيّة، ص52.

ISSN : 2410-1818

أحلامه التي يحرقها بالإنهاك النفسي والجسدي كل يوم في سبيل المحافظة على (اللقمة)؛ رمزا لأبسط ضروريّات الحياة مقابل آخرين لا يشعرون بوجوده.

(صرخة واحدة لا تكفي)؛ رواية واقعيّة تسجيليّة بمواقف انتقاديّة لاذعة، يحث بطلها على التغيير، تتخذ من أحداث عام 2005 في مسقط محرقا زمنيّا تكثيفيّا، تبتعد عنه بتسجيل الوقائع وبالاستذكار، ثم تعود إليه لرصد تفاصيله وآثاره على شخصيّات رسمها الكاتب جذور تغيير الأوضاع(35)، وما تم إنجازه من تغيير مثّلته هذه الرواية كان مادّة الكثير من الاشتغال السّردي، كما عالجته روايات أخرى قبلها وبعدها، ووعي الاختلاف مع السائد هذا كان نتيجة طبيعيّة لكل تقلّبات الحياة التي تمسّ الإنسان في جوانبه المعيشيّة والفكرية والاجتماعيّة، ولهذا كان النقد اللاذع ضمن أدوات الرواية العمانيّة باختلاف مستوياته وطريقة تشكيله في العمل الروائيّ، ومعاناة الإنسان العربيّ تعود إلى صراعه مع المؤسسات والأطراف التي من شأنها إبقاؤه في المستوى الذي يحقق لها المساحة المصنوعة من تجاوزه إنسانا يرنو إلى الأفضل دائما، ولهذا فهو يصارع في كل فترة تاريخيّة الكثير من الجهات التي تحول دون تحقيق مواطنته وإنسانيّته، بل تجاوزت ذلك إلى سلبه ما هو قريب إلى نفسه وتفكيره وأحلامه وحرّيته، وفي علم النفس العربيّ الحتميّة البيولوجيّة مشروطة؛ فالإنسان حرّ ضمن شروط ومواقف يتحرك في سلوكيات وأوضاع يغذّيها وتغذيه، فيتحدى البيولوجيّ ويعطيه معنى واتّجاها، كما يطوّره التاريخيّ والاجتماعيّ(36)، ليرصد الأدب ـ باعتباره شاهدا على الداخليّ منه ـ كل هذا ضمن تحوّلات مقاومة بين الإنجاز واليأس؛ فشكل الأدب الروائي مجموعة من القيم التي لا يستطيع الفرد الاعتراف بها أمام نفسه؛ فضلا عن التعبير عنها أمام الآخر، لكن الأدب الروائيّ يرصد بالمتخيّل ـ في كثير من انعكاساته ـ الخيط الرفيع جدا بين الواقع وإشكاليّات الحقبة الزّمنيّة؛ لهذا لم أفهم ـ وربما يشاركني غيري ذلك ـ الموقف من فعل التسجيل التاريخي حين يلسع القناعات أو ما يمكن أن يطلق عليه (الإيمان بمُثل ثابتة في حركة التغيّرات التاريخيّة)، وفي رأي خالد البلوشيّ حول المثقّف المثالي الثائر نجد ردة الفعل التي تصنعها الرواية حين تصدم القارئ المثالي بتجاوزها المكرر في الثقافة العامة(37)، يبقى أن الأدوات الفنيّة التي وظّفتها الرواية العمانيّة مكّنتها من تثقيف القارئ ليكون مستعدا لمرحلة أخرى تقترحها الرواية؛ استجابة لتشكيل وعي ثقافي اجتماعي يعيّن منطلقات البناء الحضاري المدنيّ، ويصنع من تطلّعه إلى ترقّب الأفضل وعيا مختلفا على المستوى الاجتماعي، وبعيدا عن تفرّعات هذه الأدوات يستدعي هذا الوعي طرائق اقتراح في محاولة التجاوز، وفي النهاية هو

---

35 . في السّرد الروائي العماني الحديث، ص25.

36 . اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربيّة، ص101.

37 . الرواية العمانيّ في ميزان النقد الثقافي، ص57.

ISSN : 2410-1818

ابن المرحلة التي تشكل التغيير الضروري الذي تفرضه الاستجابة للاختلاف، وكما يشير إحسان صادق اللواتي؛ فإن رؤية الأديب للعالم بحكم انتمائه الثقافي وموقفه الفكريّ هي من تعيّن له أنواع التقنيات في عمله الفنّي، حيث ترتبط الأدوات باختلاف الوعي الفني في البحث عن تشكيل جديد؛ يتعامل في الرواية الجديدة مع أنماط مختلفة من الشخصيّات والأحداث الزمنيّة، والرواية العربيّة الحديثة متعددة تتجاوز مقاييس العُرف الرّوائي، ولكل روائيّ نظرته الإبداعيّة، وصار تعامله متميّزا مع عناصر روايته الجماليّة، كما تجاوزت الرواية الحديثة المتوقّع إلى البحث عن واقع سبيله إلى الحدوث والتّحقق(38)، تستجيب إلى ذلك كله الأدوات الفنيّة التي يستعيدها الكاتب من الاستهلاك؛ فيعيدها ببثّ رؤاه فيها لتكون المعنى الذي يجدد به فاعليّتها، وضمير المتكلم ـ على سبيل المثال ـ يتيح للكاتب التوغّل في أعماق الشخصيّة فيُظهر بحديثه أدقّ مشاعرها وأفكارها بالمونولوج والاعتراف دون تكلّف(39)، كما يستطيع أنْ يجعل الشّخصيّة قابلة لتقمّص الكثير من شخوص التلقي، بمعنى آخر يبني الوعي الذي تنسجه الرواية في شخصيّة المتكلم وجُوها لبناء مواقف متعددة في القراءة، وهو الدور الذي يقوم به الفن بانزياحاته الثقافيّة، " ولا يمكن لأيّة توليفية ثقافيّة ـ كما يرى توماس مونرو ـ أنْ تظلّ ثابتة أو نهائيّة ما بقيت الحياة مُفعَمة بالحيويّة والنشاط "(40)، والمجتمع العمانيّ المتعدد الاتجاهات بين الدينيّ والاجتماعيّ يبحث في وعي النخبة عن المختلف ضمن الكثير من السّياقات التي عزّزت ظهورها التعدديّة التي تواجه التعالي على الآخر ـ كما قدّمنا ـ لإنجاز أحلام الأجيال الحديثة.

لغة رواية (صرخة واحدة لا تكفي) رشيقة، وبالتفاصيل العمانيّة يمنح الكاتب الوصف بعدا إضافيّا في تشكيل المدينة، ويكون البطل راويا، يتحوّل الراوي العليم في نهاية الرواية إلى الراوي مخاطب مباشر(41)، كل هذا لتوجيه ثمرة الوعي الثقافي إلى طرح الصّور والمشاهد ضمن النسيج المديني القائم على المتناقضات والتفاصيل، وطرح الرؤى والمواقف في مساحة الواقع والمأمول، فالرواية تصيّر الحلم معاناة يوميّة في جغرافيّة المكان الحديث، إذ المدينة نسْف وبناء في العلاقة بين الفعل والمحيط، ضمن الحركة التي تعني فهم واقع التّحول، هؤلاء الشّخوص مرتبطون ببؤرة التّحول باعتبارهم أدوات وعي ومنطلقاته ضمن التغيير المأمول في مرحلة الاصطدام بالجلمود الملموس؛ والذي بدوره يدفع الروائيّ

---

[38] . الرواية العربيّة الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة، ص95.

[39] . في السّرد العماني المعاصر، إحسان بن صادق اللواتي، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسقط، كتاب نزوى، أكتوبر، 2013، ص (17.15).

[40]. التطور في الفنون، توماس مونرو، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد وآخران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، القاهرة، لا طبعة، 2014، ج3، ص370.

[41] . " حمود الشكيلي صرخة واحدة لا تكفي "، هدى حمد، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد 80، نوفمبر 2014، ص272.

ISSN : 2410-1818

ـ وليس بالضرورة أنْ يهتم بالتغيير الاجتماعيّ ـ إلى البحث عن مضادّات إبداعيّة تحميه من تكرار الأدوات وطريقة التجربة الروائيّة، وهو دور وعي الاختلاف الذي يحدد الموقف والمكان الذي يجب على الروائي أنْ يقفه من الواقع، وللأدب قدرة على تخطّي الواقع إلى الأفضل والأجدى ولا يكتفي الكاتب بنقله في الحياة، فإبداعه يكمن في اتّخاذ الواقع منطلقا إلى المختلف، ويرفع شعار الاختلاف والمغايرة في قُربه من الحلم(42)، وفي فترة التّحولات الفكريّة والاجتماعيّة التي أشارت إليها الباحثة عزيزة الطائيّ كان الروائيّ يوظّف مادة التّحول ممزوجة بثقافته الفنيّة وهو يستلهم منطلقات الإبداعين العربي والعالمي، وباعتباره جزءا من هذا النسيج الثقافي والاجتماعيّ والدينيّ؛ لم يكن له أنْ يخرج من المادة التي تشكّل الفن الروائي العمانيّ، وبقي فترة طويلة وهو محاصر بمساقات روائيّة أنجزتها الفترة السابقة.

وظل الأمر كذلك حتى في الألفيّة الجديدة؛ إذ تشير الباحثة إلى أن الرواية العمانيّة في فترة التحديث ظلت على حال الكتابة التقليديّة دون نزعة تجريبيّة بسبب قلة الإصدارات وندرة الفن الروائي مقارنة بغيره من الأشكال الأدبيّة، وعلى الرغم من ظهور عدد من الروايات التي سعت إلى التميّز الفنّي، ورصد تحولات الواقع، وتشخيص إشكاليات الحياة؛ لكن هذه الروايات لم تحقق شروط الكتابة الفنيّة(43)، وحتى تحقق ذلك فيما بعد كان على العمل الروائي العمانيّ أن يتشكل بوعي اختلاف آخر يناسب المرحلة، ولا نستطيع أنْ نأخذ كل العمل الروائي قبل الألفية بمتطلب الرواية الجديدة التي تجاوزت فاعليّة القص السّردي إلى تعدد الأدوات القابلة للعرض أمام طاقة التجاوز؛ فهو "قيمة جمالية في مستوى عناصر الرواية"(44)، بمعنى أنْ تخضع كل الأدوات للرؤى التي يشكل بها الروائي عمله الفنّي، وفي كل مرحلة من مراحل التّحولات يواجه المبدع ذلك الجلمود المتشكّل من أكثر من سلطة، فكان على الفنان أنْ يقف عاجزا أمام صلابة التابو في المجتمع العمانيّ متواضع الثقافة الفنيّة مجتمعيّا أمام الثقافة التقليديّة السّائدة؛ أو أن يسعَ إلى تحقيق تحقيقه ذاته الإبداعيّة استجابة لتطور الفن وأدواته كونيّا.

في معرض الإشارة إلى تجربة علي المعمريّ يشير هلال الحجري إلى استعدادات الكاتب للكتابة الروائيّة التي تقع في خط التّوازي مع التاريخ؛ فكما يرى بأن القدرة على ذلك إضافة إلى الخيال لا يكفيان لهذه الكتابة، وقد تسلّح المعمريّ بكل تفاصيل الزمن المتمثّل، وكذلك إلمامه بالأرشيف

---

42 . في السّرد العمانيّ المعاصر، 121.

43 . الخطاب السردي العمانيّ، ص272.

44 . " ثقافة التابو: الاختراق والتجاوز، حسين المناصرة، ضمن كتاب: الرواية في عمان برؤية عربيّة (دراسات وقراءات)، الكتاب الأول، دار سؤال، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص200.

ISSN : 2410-1818

السّياسي لحركات التحرر في الخمسينات والسّتينات من القرن الماضي، كما كان متمكّنا من ربط الأحداث التاريخيّة بذكاء؛ لا يشعر القارئ بإقحامها على النّص(45)، فتمثّلت هذه المرجعية في وعي الاختلاف لدى علي المعمريّ؛ بكتابة التاريخ إنسانا وليس هروبا إلى الخلف من الحياة، وكل الأدوات الفنيّة التي تولّدت من هذا الأرق الإنسانيّ استندت إلى فاعليّة إعادة التجربة باعتبارها ساهمت في كثير من جوانب الواقع المعاش حاضرا، وإذ كان الإبداع أرق الرؤية المختلفة للملموس؛ فما تفعّله الرواية التاريخيّة ـ إن صح لنا هذا التصنيف ـ هي تعميق هذا الأرق ليكون ولادة تزاوج أرقين، أو أرق بوجهين زمنيين، ولا يقوم الروائيّ بمحاولة عرض الأحداث بفعل تاريخيّ، ومن جهة أن التاريخ تكرار زمنيّ لهذه الأحداث البشريّة؛ فالروائيّ يحافظ على الصلات بينها، إنها هنا ـ كما يرى مالكوم برادبرى ـ ظاهرة جديدة غير مسبوقة لتنوّع شكلها الكبير وشموليّته، ومقدرتها على استمرار التقدم في اتّجاه التاريخ(46)، وقد استعادة رواية (بن سولع) أحداث فترة تاريخيّة في العصر الحديث، لم تكن تشغل تساؤل المجتمع العمانيّ في فترة التّحولات الاجتماعيّة، مؤشّراتها المطمورة حاضرة لدى وعي الحريّة حضاريّا، وإذا كان المهتمين بالتاريخ يقرأون النتائج؛ فالروائيّ الذي ينتمي إليه علي المعمريّ يقف على طريق هذه التّحولات، هذه الحريّة من الانتقال إلى مرحلة أخرى مهما كان دورها في التغيير تشكل القلق الذي أشرنا إليه في وعي اختلاف الروائيّ التاريخيّ، " والحريّة الذاتيّة ـ كما يرى غيوم سيبرتان ـ بلان ـ لا يمكنها أنْ تكون مسلّمة أو مقذوفا بها داخل حالة الطبيعة ولا يمكنها أنْ تكون مسْتقرّة داخل الطبيعة الإنسانيّة أو منسوبة إلى ذات متعالية مشكّلَة لها "(47)، ومن هنا دُفع علي المعمري إلى إعادة قلقه بمضمرات هموم سياسيّة وتاريخيّة واجتماعيّة في منطقة شبه الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ تحديدا من زمن الرواية؛ 1977، حيث أثّرتْ عدد من القوى على تشكيل الخليج سياسيّا وجغرافيّا؛ وهي عمان بقسميها السلطنة والإمامة، والإمارات المتصالحة، والسعوديون، والبريطانيّون، والإيرانيّون(48)، وإن عالجت القراءة السياسيّة هذه الفترة بأكثر من اتجاه بحثيّ؛ لكنها حين تستدعي الإنسان بتداعياته ومواقفه وصدق مشاعره فهي بحاجة إلى استعادة حالة الذات إزاء التاريخ كما هو

---

45. " علي المعمري كاتبا وإنسانا "، هلال الحجري، ضمن كتاب " جمهوريّة بن سولع وأسفاره: دراسات في نصوص علي المعمريّ "، عائشة الدرمكيّ، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)، قطر، الدوحة، الطبعة الأولى، 2021، ص450.

46 . الرواية اليوم، مالكوم برادبرى، ترجمة: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب، مصر، القاهرة، لا طبعة، 1996، ص78.

47 . الفلسفة السياسية في القرنيين التاسع عشر والعشرين، غيوم سسيبرتان ـــ بلان، ترجمة: عزالدين الخطابي، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص101.

48 . قراءة في مُضمرات علي المعمري الروائيّة، يوسف المعمري، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشق، الطبعة الأولى، 2017، ص255.

ISSN : 2410-1818

قلق تحوّلي بصرعاته وتقلّباته، كما يفعل في كل حقبة زمنيّة بحثّ المعنى إلى التشكّل في شكل يقترب من الإنسان بين السطوة والمهادنة، وليس لعقد مصالحة بين الماضي والحاضر يدخل الإبداع منطقة التّوتر السّياسي كما حاولت بعض الأعمال تحقيق نوعا من الحوار العقلاني مع الماضي الكئيب حقوقيّا للتّطهر من تبعاته(49)، فالزّمن في استعادة الرواية تتبّع للمتخيّل بالاسترجاع في كونه جارحا للذوات موجها للمعنى الذي تتلبّسه منه بشكل عفويّ؛ وإن كان مؤثّرا في الكثير من المتغيّرات التي ترتبط بسعادتها أو شقائها، وحين يقف الماضي أمامها حاضرا بكل ظروف تشكله فيها؛ فهي تعمل فيه جزءا من تيهها وعجزها، وفي الجانب السياسي يتحوّل هذا الموقف إلى محاولة ترميم فاشل بقراءة التاريخ، وهو المحمول على احتمال البشريّة العصيّ، وأكثر ما تنوء الذاكرة بحمله هي مرارة الماضي؛ حين يحيك الروائي مؤامرة أخرى باستعادة الخذلان السّياسيّ، أي أكثر مما يعني تأويل العمل كونه مسؤولية ترتيب الأحداث في عمل روائيّ، أو تقديم مواقف وقضايا ووجهات نظر تعكس تبصّر بعض الروائيين العمانيين بما يقع في مجتمعهم العمانيّ، وقدرتهم على تشخيص الدّاء في زمنه أو قبله بكثير كما تشير عزيزة الطائي(50).

نعم قد يكون العمل الروائيّ محققا لكثير من أهداف الكتابة التاريخيّة؛ لكنه ينطلق من الهشاشة في موقف الذوات من الحدث، فيبتكر الحساسية الفنيّة التي يبرع فيها الفنان؛ بأن ينقذ ما يمكن إنقاذه من الغياب والتّجاهل، ولا يخفى دور الأعمال الفنيّة والروائيّة خاصّة في حفظ الذاكرة والأحداث الفاصلة في التاريخ، وعلى الرغم من التمييز الواضح بين التاريخ والرواية؛ لكنهما يشتركان في الشكل السّردي وفي العمق الزّمنيّ للتجربة البشريّة من خلال وضعها في الشكل السّردي لتوضيحها ضمن مسار زمني مترابط(51)، ويبقى الاختلاف في جانب الحساسية الإنسانيّة الذي يشتغل عليه المؤرخ بالتعاطف مع الملموسات وترتيب التّوترات لتكون الحقيقة صراعا بين الرؤية التي يؤمن بها وبين ما يريده الطرف الآخر المتمثّل في عناصر تاريخيّة مؤثّرة، أو قوى تكتب التاريخ منتصرة، بينما يترجم الروائي وجود ذاته في الحقبة للخروج بمقاومة عكسيّة ترصد الانكسارات والانتصارات باعترافه أمام ما يبتكره من شهود على الفاعليّة التاريخيّة سياسيّا، ويشكل ذلك في الحاضر بإبقاء الذات على طريق التّحولات. ولا تنتج الخبرات الإنسانيّة التي يمثّلها السّرد لإنتاج الحقائق، لكنه يستوحيها ويتظاهر بها، ويبرز صور الحوادث أمام المدركات الحسيّة والتّخيّليّة بسبب تنوّع الخبرات وتباين علاقات التواصل

---

[49] . نحو الوعي بتحوّلات السّرد الروائي العربي، زهور كرام، منشورات كتارا، قطر، الدوحة، الطبعة الأولى، 2017، ص16.

[50] . " أزمة الهويّة من الرفض إلى الأمل في رواية بن سولع لعلي المعمري "، عزيزة الطائي، جمهورية بن سولع وأسفاره، مصدر سابق، ص120.

[51] . الهويّة والسّرد، نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ضاحية عبدالله السالم، الطبعة الثانية، 2016، ص127.

ISSN : 2410-1818

الإنسانيّ(52) ، ولا تقتصر الخبرات على المرجعيّة التاريخيّة؛ بل تتعداها إلى وعي التشكيل الفني بمادة الحدث التاريخيّ، وقد أشرنا إلى ثقافة المعمريّ فيما أشار إليه الباحث هلال الحجريّ، ويتجلّى ذلك في الموجهات السرديّة ضمن دائرة روابط رواية (بن سولع) التي تشتغل كثيرا على الهويّة، " تلك الهويّة المأزومة التي تتجلّى في صراع الذات وغربتها عند انفتاحها على العالم لإضفاء المعاني الجديدة عليها، تلك المعاني التي عززت المتخيّل التاريخيّ باقتدار "(53)، ووقف المعمريّ أمام انكسارات الذات احتراما لكرامتها وصراعها، ممثّلا الروائيّ المتلمّس لمعنى الوطن والإنسان والأرض، عبر العواصف التاريخيّة في فترة التداعيات السّياسيّة بصرعات القوى الاستعماريّة وآثارهم على المنطقة.

نضج بن سولع الفني في الرواية العمانيّة يتجلى بتفعيل العنصر الطبيعيّ في إنتاج البيئة فكريّا؛ فكانت مسرح تصارع الثقافات المتناحرة في النصّ، كذلك في نسج نسق حكاية نهاية العالم / البيئة(54)، إذ يضع الروائيّ التاريخ السّياسيّ حادا على مكوّنات الحياة البشريّة والطبيعيّة، وهذا الفاعل العميق في علاقة الإنسان بالوجود باعتباره مرتكزا مصيريّا يشيء بالدور الذي تقوم به الصراعات في إطفاء الحياة على حساب العلاقة بين الذات والبيئة التي تعني لها الاستمرار والاكتمال. " تجسّد هذه القصة صراعا فكريّا بين رؤية التراث العماني للبيئة الطبيعيّة؛ التي تمثّلها الواحات العمانيّة، ورؤية وكالة الجراد التي تمثّلها الشركات النفطيّة"(55)، مناطق احتملها التاريخ على حواف الذاكرة؛ لم يتجاوزها المعمريّ منبعثة من إشكاليات الإنسان والمصير، والمحيط المبنيّ على تجاهل صيرورة التاريخ إنسانيّا وجغرافيّا يشكل عبء الضرورة في حسْم الموقف بأدوات الحساسية الفنيّة، مادة روائيّة شدّت انتباه المتجاوزين أو المتجاهلين ليستعيدوا مواقف الشركات التي تستنزف الروح والأرض لأجل تحقيق المصالح السياسيّة والاقتصاديّة، هذه الرواية تتصارع مرئيّاتها البيئيّة جدليّا فيما بينها، بين الملهاة على السطح، والمأساة في العمق... إضافة إلى العلاقة الجدليّة بين الراوي ووطنه خلف الرومانسيّة؛ صراع التشكيلات الفكريّة في مكونات الرواية، صراع الوطن المتمثّل في واحة البريمي، ووكالة بريتوريا

---

52 . " السّردية والدراسات الثقافيّة "، ضمن كتاب (خارج الأسوار: أوراق في الدراسات الثقافيّة)، مبارك الجابري، الآن ناشرون وموزّعون، الأردن، عمّان، الطبعة الأولى، 2022، ص139.

53 . " أزمة الهويّة من الرفض إلى الأمل في رواية بن سولع لعلي المعمري "، ص122.

54 . الرواية في عمان برؤية عربيّة، ص379.

55 . المصدر السابق، ص381.

ISSN : 2410-1818

لخدمات ما وراء البحار(56)، وكما يستعيد العمل الروائي الذوات من الحاضر المتجاهل للماضي البشريّ؛ يمسك علي المعمري الحدث التاريخي بخيوط التأكيد على الهويّة والأمل اللافح.

هل ما تدور حوله الرواية العمانية كثيرا يرتبط بموقف حاسم تجاه الكثير من التابوهات، أم يتعلق الأمر بردة فعل طبيعيّة للفعل الروائي الذي يعكس الموقف الحسّاس من كل ما يقف أمام متغيّرات المحيط. لكنه لا يمثّل حراك المسؤولية أكثر مما يستجيب إلى التغيير الذي يستدعيه العمل الروائيّ، والفنان بوعي الاختلاف يبني فكرته الأولى على شعوره بالاستياء من ذلك الجلمود الذي يثقل كاهل المتغيّرات لتحقيق فعل التعالي على الذوات المنتمية إلى حرّية الانتقال من مرحلة اجتماعية إلى أخرى، ومن مستوى وعي ثقافي إلى آخر، والمساس بهذه الحريّة يحرّض فعل الاستياء، وقد يتعامل الروائي مع التاريخ بفعل الاستدعاء أو التّخطي، ويستخلص الروائيّ التجارب الاعتباريّة كما يفعل المؤرخ، فيحمل أسرار التاريخ وخفاياه؛ فيكون مسؤولا عن تشكيل صور ذهنيّة عن كثير من المعاني الحياتيّة كالأخلاق وأنماط العيش(57)، يوظف أدوات الربط والاختراق الزمنيّ، يستعيد ويكرّر بمتغيّرات أخرى، يعيّن الحدث ضمن فعل التغيير ويخضعه للإحالات التخيليّة ليخرج بحدث يستجيب لحالة الذات في زمنها المتأخر، كما ينتقي المرحلة الزمنيّة من التطوّرات ليشكل عبئا آخر؛ ينطلق منه في توجيه الفعل الروائيّ، وكأننا نقرأ الحقبة أكثر مصداقيّة وحساسية من جهة أخرى، كما فعل محمد العجميّ في روايته (سر الموريسكي).

في رواية (حوض الشّهوات) لمحمّد اليحيائيّ؛ يشير العنوان إلى إحالات متفرّقة، فالحوض استحضار لمعنى الحياض في النصوص الفقهيّة، والشهوات إحالة إلى الكثرة الناتجة من التّجمع، عنوان يقترح أكثر مما يُعلن(58)، وبعيدا الواقع المتاح في فعل التكرار الروائيّ؛ يذهب الروائي إلى المحدد بالمؤشر التاريخيّ البحت لتعيين شكله المنسيّ لحظة الاقتراب من الموقف الفني اجتماعيّا وثقافيّا، وبشكل آخر لا يستطيع التاريخ أن يضيف عليه أكثر من التواتر الخجول؛ يتلمس اليحيائي هذه الحساسية، لكنه يربك التلقي بمنطقة مبهمة علقت فيها شخوص لتحقيق المتخيّل الروائيّ.

وعي الاختلاف في رواية (حوض الشهوات) في تقديمها " سيناريوهات ومقترحات مختلفة للتاريخ، انطلاقا من هذا السؤال: (ماذا لو ؟) ماذا لو تغيّر سياق التاريخ، ماذا لو تغيّرت حسْبة السياسة، ماذا لو

---

[56] . المصدر السابق ص(382.381).

[57] . " السّردية والدراسات الثقافيّة "، ضمن كتاب (خارج الأسوار: أوراق في الدراسات الثقافيّة)، ص142.

[58] . الرواية في عمان برؤية عربيّة، ص359.

ISSN : 2410-1818

انتصر الخاسر، وخسر المنتصر ؟ "(59)، والروائيّ يضع خريطة التدارك الزّمني لحظة الشعور بالحاجة إلى متلمّس تاريخيّ آخر، المنطلقات التخيّلية تستوعب أسرع مما يمكن توقّعه حتى في ظل وجود الحقيقيّ عن كثب، وطبيعة السؤال المطروح هي المراجعة التي تلزم صياغة فكرة عن الحدث والهويّة، على أنّ قراءة العمل الروائي الذي يغامر بالسير الموازي للتاريخ أو في الجهة المقابلة له في حساسية الذوات يدّعي هدم القائم باللغة الفنّيّة؛ ذات المجاز المشهديّ، وهذا بين التاريخ وجهة الروائي المقابلة له.

في رواية محمّد اليحيائيّ تداخل مستويات الحكي، لا يمكن أن يفهم في معنى توظيف مادة تاريخيّة بتاريخ المنطقة في فترات متباعدة ومحطات مختلفة؛ فلا فرق بين الأنسجة المنسجمة لحضور التاريخ في حلم الشخصيّات أو خطابها في الرؤيا أو الذكرى الهاربة، فشعور الانكسار في جيل شهد إحباط الثّورات انتقل بلا وعي من الآباء إلى الأبناء الذين لم يشيّدوا حلمهم، كما أنّ التاريخ لم يكن ظرفيّة لتجارب الشخصيّات بل هو جزء من تفاصيلهم المعقّدة، بقي الحاضر والآتي، وقد جعلت الرواية تفاصيل التاريخ هاجس الشّخصيّات وأحلامهم ورؤاهم(60)، ولكن الإمساك به في العمل الروائيّ يبرئ التّحولات من القسوة على الشخوص الذين تستوي لديهم نتيجتها الملموسة أو الوعود المتحققة ببعض الأمنيات، ولهذا فما يقيمه العمل أو يهدمه يؤدي إلى العالم الذي يدّعي الروائي أنه الجانب المقابل للذوات في حساسيتها من الإنكار أو الاعتراف. لقد اختلقت الرواية كونا تاريخيّا بين الواقع والحلميّ من الذاكرة الجماعيّة في بعدها النفسيّ والوجدانيّ أكثر من بعد فعليّ وحقيقيّ(61)؛ وهذه الاستعادة جارحة لكل هؤلاء في الملموس لأنها تضع الاعتبارات على مفترق الطرق، ويتحوّل العمل الروائيّ جلّادا للذوات لحظة شعورها بالجانب المنسيّ من ذاكرة التاريخ.

لا يمثّل النصّ الإيديولوجيّة لما يملأه من تناقض، لكنه يخرجها على الرغم من نوايا الكاتب ويعود ذلك إلى تناقض الرؤى وتعدد الإيديولوجيّات(62)، لكنه لا يستطيع نكران تشكيل تجربته الروائيّة، وفي كل فترات الكتابة الفنيّة كانت الفكرة والاختلاف هي الموّجه الخفي أو الظاهر، ولا

---

59 . " محمد اليحيائيّ: بين (حوض) الشّخصيّات و (شهوات) التاريخ "، هـ ـــ ح، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسقط، العدد 83، يوليو 2015، ص253.

60 . الرواية في عمان برؤية عربيّة، ص369.

61 . المرجع السابق، ص374.

62 . الرواية والإيديولوجيا في البحرين، أنيسة إبراهيم السعدون، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2013، ص26.

ISSN : 2410-1818

يستطيع الفنان أن ينكص عن مشكّلات ثقافته التي تسهم في بناء أدواته الفنيّة؛ فضلا عن الاختلاف الذي يؤمن به، ويلاحق به التناقض والتّشظي والتجاهل.

وفي رواية (المعلّقة الأخيرة) لحسين العبريّ " يكتسب التجاوز منحنىً جديدا مختلفا؛ هو أقرب ما يكون إلى المنحنى الفلسفيّ التّأمليّ "(63)، وتمثّل اتّجاها مختلفا حول الصراع بين الذات والمحيط في واحد موضوعات الوجود ، وهي وغيرها في نفس الدرب تؤكد على وعي الاختلاف الذي كسر الكثير من الجلاميد فحرّك الرواكد حولها؛ إذ الفكرة الخارجة على المعتاد في المجتمع العماني ـ كغيره في البدايات ـ غريبة ومخيفة وشاذّة، وهذا المظهر الأساسيّ لوعي الاختلاف.

في الرواية معلقات كثيرة، على شكل مشانق على جسور في البلاد، وعقود ألماس على صدور الجميلات، وعلى شكل تمائم في مقدمة السّيارات أو إبداعات مصممي الديكورات، وبعضها غير مرئيّ؛ يتدّلى من الأسفل إلى الأعلى، مشانق ترعش من له القدرة على احتواء الوجود بكامله فقط، في لحظة تختزل كل الأمكنة والأزمنة في صور وأشكال لا حدود لها(64)، معبّرة عن نهم شديد إلى تفتيت الصلب والاصطدام بقالب فكريّ تكلّست عليه كثير من أشكال الطرح التي يعبر عنها الألم الإبداعيّ، وإذ هو في تردد حول الجلمود الذي تكسّرت عليه أسئلة المعنى والمصير؛ يرسم عليه هذه الأسئلة، والشكل الذي تعيّنه الرواية يرتبط بمؤثّرات فكريّة يواجه الكثير من المقاومة من حيث الأدوات والفكرة، وبسبب قدرة الخطاب الأدبيّ على توليد عناصر دلاليّة ووظائف مخصوصة دخلته الإيديولوجيا، وكيفيّة دخولها إليه تسمح بالقول بأنها لا تنفك تقترن بمكوّنات تكسبه أبعاد جماليّة(65)، وعناصر الرواية وتطوّر أدواتها الفنيّة وتشكيلها المغاير ـ مقارنة بالرواية المبكرة ـ أتاحت للروائيّ أنْ يتلمّس فيها دروبا ومسالك يراوغ بها صلابة الموقف وشدة الرقيب للخروج بما يحرّك الساكن ليتجدد الحلم ويتحقق المأمول، و"ليس يكفي في سبيل تحقيق التجاوز أنْ يشعر المرء بما في واقعه من ضَعْف؛ بل لا بدّ أنْ يكون قادرا على تحدي ذلك الضعف والوقوف في وجهه؛ أي أنْ يكون بطلا حقيقيّا ، أولئك الأبطال هم حقيقة، إنهم موجودون في الأدب "(66)، يرون ترهّل السعي إلى الاختلاف بسبب

63 . في السرد العماني المعاصر، ص123

64 . " المعلقة الأخيرة "، أحمد الطريسيّ، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عُمان، مسقط، العدد 50، إبريل 2007، ص242.

65 . الرواية والإيديولوجيا في البحرين، ص (34 . 35).

66 . في السّرد العماني المعاصر، ص127.

ISSN : 2410-1818

استسلام المعنيّين بأمر الوقوف على حريّة الرغبة في متغيّرات الحياة النافذة إلى الرضا بمآل الصراع وحق الفكرة في التطور وأخذ الموقف منها بأي شكل سلوكيّ وفكري كان.

رواية (تغريبة القافر) لزهران القاسميّ ولادة مائيّة في عمق القرية، شكلت نموذجا عمانيّا لصوت الماء في الذوات، ليس الملموس والمرئيّ والمكرر اليومي في عاداتنا الاجتماعيّة والسلوكيّة؛ إنه يتجاوز الرمزيّ والمتوازيّ والمتقاطع، يتجاوز الكثير من المؤشرات المعنويّة للماء، والكثير من الدلالات العاطفيّة، بل أستطيع القول إن الرواية هي ما يريده الماء، وليس ما تريده شخوصها منه. لقد اجتمع للرواية المكان والماء؛ فالقرية الماء، والماء معنى القرية؛ إذ دورة الماء فيها هي فصول العلاقة بين الإنسان والطبيعة، " فالبساطة التي تعكسها الحياة في القرية ببعدها عن تعقيدات الحياة المتمدينة، وانقطاعها عما تموج به المناطق المتحضّرة من متغيّرات متسارعة؛ هي ما يجعل الإنسان القروي أعمق في تفكيره بجوهر الأشياء دون قشورها "(67)، بهذا كانت أعمال زهران القاسميّ قادرة على الاختلاف في استعادة ما أخذته المدنيّة، وجد في شخوصه رغبة في ولادات متكررة تعيد تفاصيل الحياة المحاطة بأحلام ورغبات الماء وصوره، " ذكاء العمل في مدّ علاقات الذوات بالماء؛ الماء الآخر، الشكل المجهول للرغبات في فهم الموقف من النهايات، الماء بشكله القاسي هنا وهو ينهي ويُنْهى كونه المحيط الأكثر فاعليّة في العمل من الولادة حتّى الموت، شاهدا على هذه الثنائيّة في الفصل الأول، تقف شخصيات الرواية عاجزة هنا أمام هذه الثنائيّة، موت الأم وولادة الطفل بحضور الماء "(68)، ليكون هذا المشهد حاضن الاختلاف في الرواية، فالأحداث التي تتكاتف في تشكيل شخصيّة القافر ترتبط بعلاقته بالماء منذ الوهلة الأولى، واختلاف انتقاء هذه التيمة من الكثيرات التي تدور حولها وبها حياة القرية يجعلها ذات وعي مختلف يرتبط بتفعيل المغيّب على الرغم من أهميّته، ولم يكن اختياره لذاته بدون فاعل رمزيّة الماء؛ وإلا فقدت الرواية الكثير من الاختلاف الذي وجه به الماء أدوار الشخوص باختلاف مستوياتهم ومواقفهم في بيئة بسيطة.

بقي أن نقول أن الرواية العمانيّة هي ثمرة اختلاف رؤى أجيال متقاربة عبّرت عنها بتنوّع أدواتها الفنيّة، وجاءت موضوعاتها في الكثير من الاتجاهات الاجتماعيّة والفكريّة والتاريخيّة؛ مبنيّة باختلاف وعي كتّابها في هذه الأجيال، وتجلّى وعي الاختلاف فيها في طرح الموضوع وندرته وحساسية خروجه

---

[67] . الطبيعة في الرواية العمانيّة، منى بنت حبراس السّليميّة، بيت الغشّام للنشر والترجمة، عُمان، مسْقط، الطبعة الأولى، 2013، ص259.

[68] . " تتبّع تمثّلات الماء في رواية زهران القاسمي (تغريبة القافر) "، محمود حمد، مجلة نزوى، وزارة الإعلام، عمان، مسقط، العدد 111، يوليو 2022، ص227.

ISSN : 2410-1818

على المألوف فكرة وأسلوبا، وقد أكد العمل الروائي العماني استطاعته على الابتكار الفني وتنوّع الخطاب.

الخاتمة

شكّل وعي الاختلاف دافعا أساسيّا في تطوّر الرواية العمانيّة؛ فقد استطاعت أنْ تتجاوز التقليديّ من الموضوعات والأساليب، إضافة إلى الاهتمام بثقافة الابتكار التي تصقلها تعددية الثقافة والرواية العالميّة وتوظيف موضوعات المحيط والقدرة على تجاوز الجلمود الثقافي والاجتماعيّ، والقدرة كذلك على استعادة الماضي بشخوصه وأحداثه وكل ما يندرج تحت الميثولوجيا في عمل فنّي يؤكد على الاستمرار والخلق والابتكار.

في ظل التطورات الفكريّة والاجتماعيّة والسياسية في عمان ولدت الرواية العمانيّة المتعددة، التي استفادة من انفتاح المجتمع العماني على الثقافة والفنون العالميين؛ مما كشف عن إصرار الروائيّ العماني على إيجاد مكان له في المسيرة الفنية الروائيّة، وقد رأينا تنوّع موضوعات الرواية بين المحليّ والعالميّ، والجمع بين الروايات المختلفة؛ الاجتماعيّة والتاريخيّة وغيرها من الأعمال نتيجة تنوّع ثقافة ومرجعيّة ومواقف الروائيّ العمانيّ منذ بداية الألفيّة إلى اليوم، وقد حاولت هذه السطور أنْ تتبّع بعض نماذج وعي الاختلاف في الرواية العمانيّة بقراءة ضامرة في بعض الروايات العمانيّة؛ والتي تزعم مناسبتها لفكرة تنوّع هذا الوعي.

وقد خرجتْ ببعض النتائج:

الأولى: استطاع الروائي العماني بوعي اختلافه أنْ يكون صوتا إنسانيّا وعالميّا؛ يدل على ذلك المكانة التي وصلتها بعض الأعمال عالميّا في المسابقات والترجمة.

الثانية: استطاعت الرواية العمانيّة تقبّل الأبنية والأنساق الجماليّة والحداثيّة بتطوير لغتها وأدواتها الفنيّة.

الثالثة: تنوّع وعي الروائيّ وتعدد أشكال مرجعيّته الثقافيّة؛ أدى إلى تنوّع أشكال وعي الاختلاف بالقضايا الاجتماعيّة والفكريّة والسياسيّة والتاريخيّة.

الرابعة: أتاحت فترة التّحولات الحضاريّة فرصة الاهتمام بفن الرواية وأدواته ليكون معبّرا عن وعي الاختلاف الذي أسّس بناء الرواية لدى الكتّاب الذين انفتحوا على الفن العربيّ والعلميّ؛ فحرصوا على الوصول بتجاربهم إلى مستويات أعلى من كتابة فترتهم السابقة، يظهر ذلك في أعمال روائيّة عمانيّة فتحت نافذة استشراف على العمل الروائيّ؛ متبادلا مع غيره الكثير من خبرات الفن واللغة وموضوعات الرواية.

ISSN : 2410-1818

الخامسة: مازالت هناك الكثير من القضايا التي يستطيع وعي الاختلاف الروائيّ أنْ يستلهم منها مادة أدبيّة في البيئة والمجتمع العمانيين؛ ينتظر القارئ الكونيّ الاشتغال عليها فنّيا في مختلف التشكيل والإبداع.

أأمل أنْ تضيف هذه العجالة ما يمكن أنْ يستفاد منه في الدراسات القادمة، وأن تكون فعلا قد حققتْ إشارتها المتواضعة إلى قضيّة وعي الاختلاف في الرواية العمانيّة.

المصادر والمراجع

1- الاختلاف، محمّد الهلاليّ وحسَن بيقي، دار تبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2016.

2- الخطاب السّردي العمانيّ، عزيزة الطّائي، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2019.

3- خطيئة السؤال، أحمد الهلال، مطبعة الحُسيني الحديثة، السعودية، الهفوف، الطبعة الأولى، 1438هـ/2017م.

4- التّفرقة العنصريّة، السّيد محمد عاشور، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، القاهرة، 1986.

5- السّرد العجائبيّ في الرواية الخليجيّة، مي السّادة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.

6- اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربيّة، علي زيْعور، دار الطليعة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.

7- في السرد الروائي العماني الحديث، يوسف حطّيني، بيت الغشّام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان، عمان، مسقط، الطبعة الأولى، 2017.

8- في السّرد العماني المعاصر، إحسان بن صادق اللواتي، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسقط، كتاب نزوى، أكتوبر، 2013.

9- التطور في الفنون، توماس مونرو، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد وآخران، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، القاهرة، لا طبعة، 2014.

ISSN : 2410-1818

10- " ثقافة التابو: الاختراق والتجاوز، حسين المناصرة، ضمن كتاب: الرواية في عمان برؤية عربيّة (دراسات وقراءات)، الكتاب الأول، دار سؤال، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

11- التفسير النفسي للأدب، عزالدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1984.

12- " علي المعمري كاتبا وإنسانا "، هلال الحجري، ضمن كتاب " جمهوريّة بن سولع وأسفاره: دراسات في نصوص علي المعمريّ "، عائشة الدرمكيّ، المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)، قطر، الدوحة، الطبعة الأولى، 2021.

13- الرواية اليوم، مالكوم برادبرى، ترجمة: أحمد عمر شاهين، الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب، مصر، القاهرة، لا طبعة، 1996.

14- الفلسفة السياسية في القرنيين التاسع عشر والعشرين، غيوم سسيبرتان ـ بلان، ترجمة: عزالدين الخطابي، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.

15- قراءة في مُضمرات علي المعمري الروائيّة، يوسف المعمري، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشْق، الطبعة الأولى، 2017.

16- نحو الوعي بتحوّلات السّرد الروائي العربي، زهور كرام، منشورات كتارا، قطر، الدوحة، الطبعة الأولى، 2017.

17- الهويّة والسّرد، نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ضاحية عبدالله السالم، الطبعة الثانية، 2016.

18- " السّردية والدراسات الثقافيّة "، ضمن كتاب (خارج الأسوار: أوراق في الدراسات الثقافيّة)، مبارك الجابري، الآن ناشرون وموزّعون، الأردن، عمّان، الطبعة الأولى، 2022.

19- الرواية والإيديولوجيا في البحرين، أنيسة إبراهيم السعدون، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2013.

20- الطبيعة في الرواية العمانيّة، منى بنت حبراس السّليميّة، بيت الغشّام للنشر والترجمة، عُمان، مسْقط، الطبعة الأولى، 2013.

21- الوعي والفن، غيورغي غاتشف، ترجمة: نوفل نيّوف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير1990.

22- الوعي الاجتماعيّ، ا. ك أوليدوف، ترجمة: ميشيل كيلو، دار ابن خلدون، لبنان، لا طبعة، لا تاريخ.

ISSN : 2410-1818

23- نظرية الأدب، رنيه وليك وآوستن وآرن، ترجمة: عادل سلامة، دار المرّيخ، السعوديّة، الرياض، الطبعة الثالثة، 1412هـ/1992م.

24- الأجناس الأدبيّة، إيف ستالوني، ترجمة: محمّد الزكرواي، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.

25- الرواية العربيّة الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة (جذور السرد العربي)، بلحيا طاهر، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران / دار الروافد الثقافيّة ـ ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2017.

26- نظرية التّأويل (الخطاب وفائض المعنى)، بول ريكور، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2006.

27- جماليّة التلقي (من أجل تأويل جديد للنص الأدبي)، هانس روبيرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدو، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، أريانة / منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر / منشورات ضفاف، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م.

28- لاختلاف والتكرار، جيل دولوز، ترجمة: وفاء شعبان، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.

المجلات والدوريّات:

29- " تتبّع تمثّلات الماء في رواية زهران القاسمي (تغريبة القافر) "، محمود حمد، مجلة نزوى، وزارة الإعلام، عمان، مسقط، العدد 111، يوليو 2022.

30- " قراءة في الطواف حول الجمر "، غالية فهر تيمور آل سعيد، مجلة نزوى، العدد 24، أكتوبر 2000، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عُمان، مسقط.

31- " المعلقة الأخيرة "، أحمد الطريسيّ، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عُمان، مسقط، العدد 50، إبريل 2007.

32- " حمود الشكيلي صرخة واحدة لا تكفي "، هدى حمد، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، العدد 80، نوفمبر2014.

33- " محمد اليحيائيّ: بين (حوض) الشّخصيّات و (شهوات) التاريخ "، ه ـ ح، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسقط، العدد 83، يوليو 2015.

34- " السّرد العماني واستفاقة الوعي الراكد "، محمّد زرّوق، مجلة نزوى، مؤسّسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، عمان، مسْقط، العدد 100، أكتوبر، 2019.

ISSN : 2410-1818

35- " الاتجاهات الفلسفيّة الحديثة من المناهج إلى الذكاء الصناعي "، علي بن سليمان الرواحي، ملحق جريدة عمان الثقافي، العدد13، 26 يناير، 2023.